SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468

مجلة اللغة العربية للبحوث التخصصية

المجلد 4، العدد 1، 2018

e–ISSN: 2289–8468

ALSILSILT ALKALAMYT BYN ALLSANYAT ALEARABIAT WALLSANYAT ALGHARBIAT MUQARABATAN TATBIQIA

السِلْسِلةُ الكَلاميةُ بينَ اللسانياتِ العربية واللسانياتِ الغربية مقاربة تطبيقية

أ. د. سلمان عباس عبد

جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية – قسم اللغة العربية

ARTICLE INFO
Article history:
Received 4/10/2017
Received in revised form 25/10/2017
Accepted 18/12/2017
Available online 15/1/2018
Keywords:

Abstract

Phonemes become the important composition in producing the syllable of the word in morphology. However, it`s has to rely on grammatical structure in composing the syntactic level of production. The grammatical sentence called syntactic structure is considered as a field of basic linguistic method. As well as sentence becomes the most maximal limit of linguistic analysis in visualizing the factual of language. To achieve the comparative study standard on the issue discussed, the research highlights some linguistic cases in Arabic linguistic and Western approaches in linguistic thought.

الملخص

كلّ منا يعلم بأنّ التركيب الحاصل في كلّ من المقطع والكلمة في السلسلة الكلامية , لا يتعدى المستوى الصوتي على صعيد الفونيمات , والمستوى الصرفي على صعيد الكلمة , لذا فسوف يختص هذا البحث بالتركيب النحوي الذي ينتمي إلى المستوى التركيبي (الجملي) في الكلام فندرسه من جهة وظيفة علم النحو ؛ لأنّ الجملة هي أقصى حدود التحليل التي تقع ضمن دائرة علم اللغة , وهي الوحدة اللغوية الأساس , أو الصورة اللفظية ذات الأهمية المطلقة في البيان والافصاح في أيّ لغة , إذ تعدّ العنصر الأساس في الكلام , والتصور الخاص "بالسلاسل الكلامية" تصور لا يمكن الاستغناء عنه في البحوث اللغوية .

وسوف نحاول في هذا البحث أن نتعرض لهذه المسائلة بالدرس والتحليل المنطقي ؛ بين اللسانيات الغربية واللسانيات العربية , وصولا لقضية تأثير اللسانيات العربية في الدرس اللساني الغربي .

مقدمة:

لا شك أن مصطلح "السلسلة الكلامية " لم يحتل موقعا بارزا في الدراسات اللسانية قديما وحديثا، لحلول مصطلحات أخرى تؤدي دوره بشكلٍ مطابق، لكننا سنحاول الغوص في معاجم العرب اللغوية، لنحددَ الأطر اللغوية له. السلسلة لغةً : قال بعض أهل اللغة،السِّلْسِلَةُ : اتصال الشيء بالشيء (1)وبه سمّيت السلسلة(2)، أمّا عند ابن منظور(711هـ) فـ "السَّلْسَلُ والسَّلْسَال والسُّلاسِلُ: الْمَاءُ العَذْب السَّلِس السَّهْل فِي الحَلْقِ، وَقِيلَ: هُوَ الْبَارِدُ أَيضاً. وَمَاءٌ سَلْسَلٌ وسَلْسالٌ: سَهْلُ الدُّخُولِ فِي الْحَلْقِ لعُذوبته وَصَفَائِهِ، والسُّلاسِل، بِالضَّمِّ، مِثْلُهُ"(3). السلسلة اصطلاحًا : يرى الدكتور حاتم الضامن – في تعريفه للسلسلة الكلامية– بأنّها :" تتابع وحدات لغوية (أصوات وكلمات) في موقف كلامي عادي إذ تكون منطوقة مسبوقة بسكون ومتبوعة بسكون " (4) .

نرى أنّها مجموعة من العناصر اللغوية التي ترتبط بعضها مع بعض بصورة متتابعة ومؤتلفة تظهر فيها الجملة التركيبية أكثر نسقًا وانسجامًا في ظل تكوّن صورة من صور التكامل النحوي (التركيبي) داخل السلسلة الواحدة لتُكَوّن سلسلة حلقات متصلة لا تنفصلُ أحداها عن الأخرى؛ولذلك تعدّ الحجر الأساس لدراسة اللغة في الغالب الأعم والنحو في الأخص، لأنّ بناء هذه العناصر داخل السلسلة الكلامية هو الهيئة الحاصلة من عمل العناصر، وآرتباطها مع بعضها بصورة تدريجية، وهذه البنية التي تضم وظائف هذه العناصر تسمى الجملة.

والسلسلةُ الكلامية لا تتضمن وحدات معزولة ثابتة، وإنّما تكون كحباتِ عقدٍ متراصة جنبًا إلى جنب، ولكن منفصلة بعضها عن بعض (5)إذ يكاد يتكون كل نطق أو كلّ "سلسلة كلامية" من عدد كبير من عناصر صغيرة لا يتشابه اثنان منها (6).

السلسلة الكلامية في اللسانيات الغربية :

نظر دي سوسير إلى اللغة بوصفها نظامًا أو منظومة تنطوي على سلسلة من العناصر التي يؤثر بعضها في البعض الآخر من طريق عملها الذي يستند إلى سلبية عنصر تجاه عنصر آخر، فنظر إليها على أساس أنّها كيان مستقل لا يمكن تجزئته وعزل عناصره، ومن ثمَّ البحث في هذه العناصر في عزلتها التاريخية التي تقودنا إلى تغريب ما هو لغوي

---

[1]) ينظر معجم مقاييس اللغة : 60/3 , مادة (سلَ) .

[2]) كتاب الافعال : 170

[3]) لسان العرب : 343/11 , مادة (سلل) , وينظر تاج العروس :217/29, مادة (سلسل) .

[4]) فقه اللغة : 188 .

[5]) ينظر علم الأصوات العام : 93 .

[6]) ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : 120 .

بالنظر إلى هذا العنصر أو ذلك وتقلبه وتحولاته التاريخية وكأنّه عنصر متفرد، وليس منتمي وهو شرط لغويته(7)،مع الإشارة إلى أنه :" رغم فصله بين الكلام واللغة، فقد حدد عناصر العملية الكلامية إلا إنه جعل الكلام عنصرا ثانويا، وهذه التفرقة جعلت اللسانيات تقف في حدود الجملة، أي إنها تعتبر وصف سلسلة كلامية من الجمل، ولم تخرج عن هذا الإطار"(8)، بمعنى: " أن عناصر الجملة، أو وحداتها تنتظم فيما بينها في شكل خطٍ أفقي متدرج زمنيا، إذ إن هذه العلاقة الأفقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة، وكلمات الجملة الواحدة، وجمل النص الواحد، فتضفي كل واحدة على الكل معنى إضافيا، وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معها جميعا"(9) ونستنتج من ذلك بأنّ العناصر ليس لها وجود مستقل نستطيع أن نتعامل معه خارج السلسلة الكلامية في التركيب النحوي.

ومن هذا المنطلق يتبين لنا أنَّ الكلمات التي تؤلف السلسلة الكلامية ليست أكبر المركبات اللغوية، إذ ثمّة مركبات في اللغة تفوق الكلمة، لكنّها في الوقت نفسه لا تصل إلى حدّ الجملة(10) علمًا أنّ عدّ الجملة مركبًا، بل أكبر من مركبات اللغة ومنتهاها. ولعله بسببٍ من هذا يُنْظَر إلى الجملة في الدرس اللغوي الحديث بوصفها الوحدة الأساس للبحث(11)، أو بوصفها أكبر وحدة يعرفها اللغوي(12)،ويمكن تمثيل المركبات اللغوية التي تحويها السلسلة الكلامية في هذا المخطط على النحو الآتي :

الأصوات----- المقاطع ----- الكلمات---- المركبات ----- الجمل

مركبات صوتية------مركبات صرفية --------مركبات نحوية.

وحين نتتبع –هذه القضية– عند النحاة الأوائل، نجد أنهم جعلوا مدار النحو العربي بمختلف تفصيلاته وتفاريعه هو (الكلمة) على حالاتها المتنوعة، وأجاد ابن عصفور عندما أعاد ترتيب أبواب النحو وفق وضع الكلمة، فصنف الأحكام إلى : أحكام الكلم في أنفسها قبل تركيبها، وأحكامها حين تركيبها (13).

---

[7]) ينظر علم اللغة العام : 9 .

([8]) مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية : 73

([9]) المصدر نفسه : 72

[10]) ينظر النحو الغائب دعوة إلى توصيف جديد لنحو اللغة العربية في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها : 123 , والمقصود بالجملة ما تضمن الاسناد الأصلي المقصود لذاته.

[11]) ينظر بحوث السنية عربية : 51 .

[12]) ينظر التقابل اللغوي واهمية في تعليم اللغة لغير متكلميها : 113 , والنحو الغائب : 123 .

([13]) ينظر : المقرب : 1/ 46

وأكد الرضي ذلك بقوله : " إنما قدم حد الكلمة على حد الكلام مع أن المقصود الأهم من علم النحو معرفة الإعراب الحاصل في الكلام بسبب العقد والتركيب، لتوقف الكلام على الكلمة توقف المركب على جزئه"(14).

ولذا كانت الغاية من تقطيع المركبات إلى أجزائها الدنيا وصولا إلى أبسط المكونات (الصوت) هو معرفة موقعها داخل سلسلة التأليف(15)، كما حددها السيوطي : " ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت، وإن اشتمل على حرف، ولم يفد معنى فلفظ، وإن أفاد معنى فقول، فإن كان مفردا فكلمة، أو مركبا من اثنين، ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها فجملة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلم"(16).

بناء على هذا يمكن تصور السلسلة الكلامية، كما في الشكل :

المتكلم – صوت – حرف – لفظ – قول – كلمة – مركب – كلام / جملة – السامع / المتلقي.

فلكي تصل الرسالة المنطوقة إلى المتلقي يَلزمُها المرور عبر مستويات تأليفية عدة تتوحد في مستوى الجملة صوتا ودلالة وتركيبا لتؤدي المقصود منها(17).

الجملة والتحليل النحوي :

تعد الجملة أكبر وحدة للتحليل النحوي في أغلب الأحيان، كما صرح بذلك جون ليونز(18)، وهو ما يمكننا من تحليل السلسلة الكلامية إلى وحدات متمايزة من جهة الدلالة اللغوية بما له صلة بالمعنى (19)؛ لأنّ النظم اللغوية أبنية مزدوجة المستوى، أيّ لها خاصية الازدواجية، فالجمل المنطوقة ليست مجرد مجموعة مؤتلفة من العناصر الفونولوجية، فهي أيضا مجموعة مؤتلفة من الوحدات النحوية، وتعريف تشومسكي الجزئي للنظام اللغوي باعتباره مجموعة من الجمل، كلّ جملة منها محدودة في الطول ومركبة من مجموعة عناصر محدودة يجب أن يتسع ليأخذ في اعتباره هذه الخاصة الجوهرية في اللغات الطبيعية(20) ومنها العربية التي ثبتت على أصول وقواعد مستقرة لم يطرأ عليها تحول أو ضعف أو تراجع،بل بقيت على ما كانت عليه في عصورها الأولى(21).

---

(14) شرح الكافية : 7/ 1

(15) ينظر : الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي : 488

(16) الأشباه والنظائر : 2/ 7

(17) ينظر : الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي : 488

18) ينظر اللغة وعلم اللغة : 169, 189 , وينظر النحو الغائب : 123 .

19) ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 10, 162 .

20) ينظر اللغة وعلم اللغة : 82 .

21) ينظر العربية والبحث اللغوي المعاصر : 55 .

وقد أوضح النحاة بصورة كافية آرائهم في تأليف الجملة(22)إذ قال سيبويه (180هـ) : "هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يَغْنَى واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يَجد المتكلّمُ منه بداً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيُّ عليه، وهو قولك: عبدُ الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بدَّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوَّلِ بدٌ من الآخرِ في الابتداء"(23)، فالاسمان على حد قول سيبويه يكونان كلامًا ؛ لكون أحدهما مسندًا والآخر مسند إليه، وكذا الاسم مع الفعل في المثال الآخر ؛ لكون الفعل مسندا والاسم مسند إليه، لأنّ علاقة الارتباط بطريق الاسناد هي بؤرة الجملة، بل هي وحدها كافية لتكوين الجملة في صورتها البسيطة (24)، إذن فالجملة مكونة من وحدات متصلة بعضها ببعض، وهذا الاتصال قائم على أساس أن بعض هذه الوحدات يحتوي بعضها الآخر، ويسمى النظر الذي يعمل على هذا الأساس بتحليل المكونات المتعاقبة وهو ما أشار إليه بلومفيلد في نظريته البنيوية (25) وهو نوع من التحليل الذي يعمل على تفتيت الجملة إلى مكوناتها الصغرى من أجل معرفة أمرين(26) :

أولهما : كيفية بناء الجملة أو التركيب من الوحدات الصغرى المكونة لها.

ثانيهما : معرفة علاقة الاحتواء والتضمن،التي على أساسها يتم تحويل الجملة إلى حقول بعضها أكبر من بعض، وهذا ما يكشف عن العلاقات التركيبية بين أجزاء الجملة داخل السلسة الكلامية الواحدة.

تطبيقات تحليلية للجملة:

نستدل لذلك بقوله تعالى (27): ((يُوَفَّى الصَابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ))،هذه الجملة تنطوي على وحدات نحوية أصغر من الجملة عينها،أيّ أنّ هناك ثمّة تجمعات للكلم أصغر منها وتعامل اللغة هذه التجمعات على أنّها "مركبات: أو "وحدات تركيبية" تساهم بوضوح في نظم الجملة(28) على ما سنبينه الآن :

"يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"

يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب

---

[22]) ينظر على سبيل المثال لا الحصر الكتاب :23/1 , وشرح الرضي على الكافية : 31 , وشرح المفصل 70/1 , ودلائل الاعجاز:16 .

[23]) الكتاب : 23/1 .

[24]) ينظر: النسق القرآني دراسة اسلوبية : 269.

[25]) ينظر اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج: 169 .

[26]) ينظر المصدر نفسه : 169 .

[27]) الزمر :10

[28]) ينظر النحو الغائب : 123 .

يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب

يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب

يوفى الصابر ون أجر هم بـ غير حساب

ونلحظ أنّ هذا التحليل يقوم على تقسيم الجملة على أجزاء أصغر منها، كما ويعمل على تقسيم هذه الأجزاء إلى مكوناتها الدنية، ما يدلّ على أن الجملة في نهاية الأمر ليست حصيلة تفاعل مباشر بين الكلمات في الحالات كلّها، إنّما تتفاعل الكلمات في بعض الأحوال لتدخل في مركبات تحكمها فيها علاقات خاصة، وتتحد هذه المركبات مع بعضها البعض، ومع المكونات الأخرى بغية إنتاج الجملة[29]، التي تحتوي على ثلاثة عناصر عند تحليلها من وجه نظر أندريه مارتنيه [30]، هي :

1. العنصر المركزي وهو المحمول أو فحوى الكلام (المسند).
2. أداة التحصيل (المسند إليه)، وهو العنصر المشارك فاعلًا أو مفعولًا لكي يكون له الحضور الذي يستحق كفحوى الخطاب.
3. أنماط الإلحاق، وهي التكملة لما لها من دلالات مستقلة عن مضمون الجملة الأساس، وهي تشبه في مضمونها الفضلة، والالحاق نوعان : الحاق بالعطف، كقولنا : الحق سيف وسلطان، والحاق بالتعلق، ويشمل وظائف نحوية مختلفة كالنعت والمضاف إليه والجار والمجرور، كقولنا مثلًا : (اشتريت كتابًا نافعًا).

وقد فرّق بلومفيلد في كلّ هذا بين (المكون النحوي)، (والمركب النحوي)، فالمكون النحوي هو أصغر وحدة لغوية يمكن أن تدمج فيما هو أكبر منها ليكون مركبًا، وفي الوقت نفسه لا يمكن تجزئتها إلى ما هو أصغر منها مع الاحتفاظ بقيمتها اللغوية ووظيفتها النحوية [31]، فقوله تعالى:"بغير" تتكون من مكونين هما : (الباء) التي لا يمكن تجزئتها إلى ما هو أدنى منها مع الاحتفاظ بوظيفتها الدلالية والنحوية، و(غير) التي لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء مع الاحتفاظ بأثرها في التركيب، أمّا التركيب النحوي أقل من جملة، لكن يمكن أن تتكون من مؤلف نحوي واحد استنادًا لتقدير ما هو مضمر ومقدر منها، فقولنا: اذهب، مؤلف مركب من الفعل المذكور والضمير الغائب "انت" الذي يدل عليه السياق [32].

---

[29]) ينظر النحو الغائب: 123 .

[30]) ينظر مبادئ اللسانيات العامة : 124 , والجملة في الدراسات اللغوية : 76 .

[31]) ينظر في اللسانيات ونحو النص : 83 .

[32]) ينظر الجملة في الدراسات اللغوية : 82 .

فالمسألة إذن ليست مسألة صيغة فقط، بل مسألة استعمال، وهو ما أشار إليه فندريس[33] قائلًا :"وبعبارة أخرى يجب أن نواصل المسير حتى نصل إلى تكوين الصورة الكلامية إذ تتألف عناصر الكلم لكي نبرز التمييز بين الفعل والاسم" أو الحرف أو الفاعل ونائب الفاعل والمبني للمجهول والمبني للمعلوم وغيرها من مكونات الجملة في السلسة الكلامية،والتي تتحصل منها الفائدة الكلامية التامة المنشودة من تأليف الجمل وهي النسبة الوارد بها ارتباط الفعل بالفاعل أو المسند بالمسند إليه، وهذا ما يستلزم التركيب المعبِّر في حد الكلام.

النسبة الوارد بها ارتباط الفعل بالفاعل أو المسند بالمسند إليه، وهذا ما يستلزم التركيب المعبِّر في حد الكلام.

كقولنا: يا زيد، فـ(زيد) هنا منادى، فلما وجدت الفائدة التامة من الجملة صح تركيب الكلام من اسم وحرف، لكن أجيب بأنّ هذا فرع لا أصل، (يا زيدُ) أفاد فائدة تامة، نعم لكنّه لا باعتبار ذاته وإنما باعتبار أصله، لأن التأصيل والتقعيد إنما يكون باعتبار الأصول لا باعتبار الفروع، فحينئذٍ قولك: أدعو زيداً، هو الأصل وهو جملة فعلية، وأفاد فائدة تامة، إذًا المنادى ليس كلاماً باعتبار كونه مركباً من حرف واسم، وإنما بالنظر إلى أصله، وهو أنّه مؤلفٌ من فعل وفاعل ومفعول به [34] على نمط خطي في تكوين الجملة داخل السلسلة الكلامية، وهذا ما يطلق عليه في النحو العربي بمعيار "حسن السكوت" والذي يتوجه إلى أنّ معنى التركيب سواء أكان جملة أصولية أو لا، يعدّ تامًا لا لبس فيه، ومن ثمّ يمكن أن يكون هذا المعيار محددًا لأصغر وحدة تركيبية يمكنها أن تعطي دلالة تامة، وبمعنى آخر أصغر وحدة دلالية تركيبة يمكن أن نسميها بالجملة [35].

خصائص الجملة في فكر النحاة الأوائل :

يعدّ المبرِّد أول أولئك النحويين مَنْ ربط مصطلح الجملة وحسن السكوت قائلًا: "وإنما كان الفاعل رفعًا، لأنّه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت : قام زيد، فهو بمنزلة قولك : القائم زيد، والمفعول به نصب إذا ذكرت مَنْ فعل به ؛ وذلك لأنّه تعدى إليه فعل الفاعل، وإنّما كان الفاعل رفعًا والمفعول به نصبًا ليعرف الفاعل من المفعول به"[36].

---

[33]) اللغة : 162 .

[34]) ينظر فتح ربّ البرية في شرح نظم الآجرومية :592,34,22.

[35]) ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه : 212 .

([36])المقتضب : 8/1 .

وفي السياق نفسه يمثل سيبويه لجملة الجزاء وجوابه على أنّها كتلة كلامية واحدة بتمام دلالة الجزاء بجوابه، ويظهر ذلك في قوله [37] :"وقال: إن تأتني فأكرمُك، أي فأنا أكرمُك، فلا بدّ من رفع فـ(أُكرمُك) إذا سَكَتَّ عليه، لأنّه جواب، وإنّما ارتفع لأنّه مبني على مبتدأ"، فالسكت يرتبط بكون (فأكرمُك) جوابًا لتمام المعنى، في حين أنّ النصب سيحيل إلى جواب ينتظره السامع، فيصبح مقولة اسمية معطوفة بالفاء على ما سبقها وليست شطرًا للجزاء [38]، وهو ما يدعونا على أن نصطلح على هذه العناصر بـ(السمات النحوية للفعل) مع ملاحظة وجود عناصر أخرى في الفعل نصطلح عليها بـ(السمات الدلالية للفعل) تعمل على إحداث الموائمة بين السمات الأولى (ذات الطبيعة المولدة المنتجة في مستوى بناء الجملة) والمفردات الشاغلة للوظائف النحوية وعددها، وهو ما يظهر عندما يحسن السكوت على الجملة لتمام الفائدة [39] كما بينا فالفعل (أكرمك) في هذا التركيب انماز بسمته الدلالية الفعلية، وهذا ما عمل على إحداث الموائمة والتوافق بين بناء الفعل في الجملة والوظيفة النحوية التي أداها، ولا يقف سيبويه في فهمه لبناء الجملة وتكوينها الخطي عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى ما يمكن أن نصطلح عليه بـ(السمات البنائية) الكامنة فيه، يقول [40]:" فالاسم الأول المفعول في ضربتُ قد حالَ بينه وبين الفعل أن يكون فيه بمنزلته، كما حال الفاعلُ بينه وبين الفِعل في ذهبَ أنْ يكون فاعلا، وكما حالتِ الأسماء المجرورةُ بين ما بعدها وبين الجارّ في قَولك: لي مثلُه رَجُلاً، ولي مِلؤُهُ عَسَلاً"

ونخلص من ذلك إلى أنّ الجملة متكونة من وحدات كثيرة متكاملة في نظام محكم يضمها جميعًا في إطار جملة واحدة مركبة [41] ضمن السلسة الكلامية، والفهم المعتمد على المنحى الوظيفي للمسند والمسند إليه يفسر حالة التلازم بين أركان الجمل التي تتمثل بالفعل والفاعل، أو بين المبتدأ والخبر، أو الجزاء وجوابه وغيرها.

ولا يمكن أن نتصور التركيب في وحدته الأساس " الجملة اللغوية في بنائها النحوي بما احتوته من عناصر رئيسة وأخرى ملحقة أو مكملة " من غير أن يتحقق بها معنى مفيد [42] فائدة يحسن السكوت عليها، وهذا ما يتحقق بقواعد الإعراب لتحصيل الفائدة وكمالها، وهو ما أكده علماء النحو العربي كافة، وأسماه تشومسكي بالعنصر الدلالي، إذ رأى أنّ معنى الجملة يجب أن يخضع للتحليل الدقيق، أيّ أنّ الدلالة يجب أن تخضع للتحليل النحوي؛ لأنّ النحو عنده إنّما هو نظام

---

[37]) الكتاب : 69/3 .

[38]) مفهوم الجملة عند سيبويه : 216 .

[39]) المصدر نفسه : 160 .

[40]) الكتاب : 44/1 .

[41]) ينظر اللغة وعلم اللغة : 148.

[42]) ينظر النسق القرآني دراسة اسلوبية : 267 .

من القواعد يربط معنى كلّ جملة يولدها بالتمثيل الفيزيقي لها بالأصوات [43]، فالإعراب لا يكتفي بتقسيم الجملة إلى مكوناتها الدنية، بل يزيد على ذلك ببيان نوع الكلمة اسمًا كانت أو فعلًا، وإذا كانت فعلًا : فهل هي ماضٍ أم مضارع أم أمر؟ ثمّ يذكر العلاقة بين الكلمتين اللتين تؤديان وظيفة الإضافة، ويذكر العامل ومعموله والحركة الدالة على موقع الكلمة في الجملة إلى آخر ما هو معروف في اعراب الكلمات والجمل [44].

ويتحدد المحتوى الدلالي للجملة العربية بالوجوه الإعرابية المحتملة لمكونات الجملة، ويرجّح ذلك إلى أنّ العربية وظّفت مجاري أواخر الكلم للدلالة على وظائفها النحوية في الجملة، مما أدى أن يكون للنمط البنائي الواحد أكثر من محتوى دلالي واحد بحسب الوجوه الإعرابية المحتملة، ويوضح سيبويه ذلك قائلًا [45] :"وذلك قولك: له عِلْمٌ عِلْمُ الفُقَهاءِ، وله رَأْيٌ رأيُ الأُصَلاءِ. وإنَّما كان الرفعُ في هذا الوجهَ لأنَّ هذه خِصالٌ تَذكرها في الرجل، كالحلم والعلم والفضل، ولم ترد أن تُخبِر بأنك مررت برجل في حال تعلُّمٍ ولا تفهُّمٍ، ولكنّك أردت أن تَذكر الرجل بفضلٍ فيه، وأَنْ تَجعل ذلك خَصلةً قد استَكملتها، كقولك: له حَسَبٌ حَسَبُ الصالحينَ؛ لأَنَّ هذه الأشياءَ وما يُشْبِهها صارت تَحليةً عند الناس وعلامات، وعلى هذا الوجهِ رُفع الصوتُ، وإن شئت نصبتَ فقلت: له عِلْمٌ علمَ الفقهاءِ، كأَنَّك مررتَ به في حال تعلُّمٍ وتفقُّهٍ، وكأَنّه لم يَستكمل أن يقال: له عالِمٌ"، فكلّ هذه الأنساق اللغوية التركيبية متأتية من ترتيب بناء العناصر النحوية داخل السلسلة الكلامية بصورة منظمة تدعو إلى التنسيق والانسجام بين العناصر في الجملة الواحدة وما تؤديه من دلالات نحوية دلت عليها حركات الإعراب.

رؤية سيبويه للجملة :

نجد محاولة سيبويه في تقديم صورة للفكر البنائي التحليلي لمفهوم الجملة واضحًا، فالعمل عنده هو الفكرة الرابطة التي تجعل من الجملة نسيجاً واحداً متلاحماً، مسبوكًا بنيويًا؛ كونه كتلة وبنية واحدة، ويجعل ذلك من مفهوم العمل ومفهوم البناء مجالين تحليليين له لا ينفصلان في إطار تحديد مفهومه للجملة، فالعمل – لا سيما عمل الفعل– هو المفهوم الذي يعبّر به عن توليد المجالات، أو انشائها لتشغلها المقولات الأسمية، لتدل على الوظائف النحوية وربطها بالفعل، أمّا البناء، فهو الهيئة الحاصلة من العمل أو الربط، فهو البنية التي تضم الوظائف والتي تسمى الجملة [46]، التي

---

[43]) ينظر النحو العربي والدرس الحديث : 139 .

[44]) ينظر اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج : 170 .

[45]) الكتاب : 361/1 – 362 .

[46]) ينظر مفهوم الجملة عند سيبويه : 155 .

تكون عبارة عن مجموعة من المكونات اللغوية مرتبة ترتيبًا نحويًا إذ تكون وحدة متكاملة في ذاتها وتعبر عن معنى مستقل [47].

وذكر فردينان دي سوسير في إحدى ثنائياته المعروفة، وهي ثنائية المحور الاستبداليّ ومحور التراكب بأنّ محور التراكب : " يكمن في التسلسل الذي تخضع له العلامات في الكلام وفق نظام خطي، إذ لا يمكن النطق بعلامتين في وقت واحد، وإنّما تتابع العناصر اللسانية أحدها بعد الآخر لتتراكب في السلسلة الكلامية"[48] وفق ترتيب زمني.

وفي أول صورة للمنهج التوليدي التحويلي الذي قدمه تشومسكي عام 1957م يوضح أنّ العنصر المكون للبنية التركيبية يخلق مجموعة من سلاسل الأطراف التي تخضع في عنصرها التحويلي لنوعين مختلفين من التحولات، أحدهما إجباري، والآخر اختياري، وهما ينتجان معًا الجمل اللغوية، ويمكن للتحولات الاختيارية أن تدخل عناصر دلالية جديدة ممّا يؤدي إلى تعديل الدلالة، أمّا الجمل التي لم تمارس سوى التحولات الاضطرارية فحسب، ولم تتجاوز إلى الاختيارية فهي التي يطلق عليها (الجمل النووية) وتتميز بشكلها البسيط الشديد الفعالية وإمكانية الانطلاق منها لبناء مجموعة من الجمل المختلفة، كما في قولنا : (كَرُم زيدٌ)، ويمكن تحويل أية جملة إلى أية لغة إلى جمل نووية بقلب عملياتها الاشتقاقية وإلغاء كلّ تحولاتها الاختيارية[49].

وخير ما يمثل صحة هذا القول قوله تعالى [50]: ((وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَآءَكِ وَيَاسَمَآءُ أَقْلِعِى))، ففي هذه الآية الاخيرة من المقطع في المشهد القرآني تنتهي محنة الطوفان بعد غرق الابن، فيتحول المشهد إلى نداء وأمر، ثمّ تأتي الأفعال ترسم تتابع الأحداث بعد هذا النداء، والأمر بصيغ من الانسجام بين الصوت والمعنى ما دعاه العلماء والدارسون ب(حسن النسق)، إذ ترادفت الجمل منسوقة بعضها على بعض بواو النسق، كما وكشفت عن ألوان التعبير البلاغي ما ليس متوافرًا في كلام أحدٍ من البشر[51]، ونقل السيوطي (911هـ) عن أبي الأصبع (515هـ) ما قاله في هذه الآية: "ولم أرَ في الكلام مثل قوله تعالى: "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"، فإن فيها عشرين ضرباً، وهي سبع عشرة لفظة، وذلك للمناسبة التامة في (ابلعي) و (أقلعي)، والاستعارة فيهما، والطباق بين الأرض والسماء، والمجاز في قوله: (يَا سَمَاءُ)، فإن الحقيقة يا مطر السماء، والإشارة في: وغيض الماء، فإنه عبر به عن معانٍ كثيرة، لأن الماءَ لا يغيض حتى يقلعَ مطرُ السماء، وتبلعُ الأرضَ ما

---

47) ينظر معجم اللسانيات الحديثة : 129 .
48) السيمياء العامة وسيمياء الأدب : 42 .
49) ينظر علم الأسلوب مبادئه واجراءاته : 112 - 113.
50) هود : 44 , انظر إلى الآيات السابقة واللاحقة لغرض تتابع المشهد وايضاح الصورة الفنية للصياغة النحوية .
51) ينظر النسق القرآني: 122.

يخرج منها من عيون الماء، فينقصُ الحاصل على وَجْه الأرض من الماء. والأرداف في: (واستوت)، والتمثيل في: (وقضي الأمر)،والتعليل، فإنَّ (غِيضَ الْمَاءُ) عِلّة الاستواء، وصحة التقسيم، فإنه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء، والماء النابع من الأرض، وغَيْض الماء الذي على ظهرها، والاحتراس في الدعاء، لئلا يتوهَّم أن الغرق لعمومه شمل مَن لا يستحق الهلاك، فإنَ عَدلَه تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق، وحسن النسق، وائتلاف اللفظ مع المعنى الحروف، عليها رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب، وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه، والتمكين، لأن الفاصلة مستقرة في محلها، مطمئنة في مكانها، غير قلقة ولا مستدعاة"[52]

وإلى جانب ما ذُكر فهي ليست مجرد كلمات متتابعة مرصوفة بعضها بجانب بعض افقيًا بل تعدّ نسقًا منظومًا على جانب مخصوص مؤلفة من مكونات منسجمة تركيبيًا، إذ جاء النداء من أجل التنفيذ بأفضل صيغة مختصرة (يا) والأرض باعتدادها خلقًا من خلق الله تؤمر فتستجيب فهي ليست بحاجة إلى أكثر من هذه الصيغة، وذكر الزمخشري (538هـ) أنّه نادى الأرض والسماء بما ينادى به الإنسان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وأمرهما بما يأمر به أهل التمييز والعقل [53] وهي (أرض) و(سماء) فهي أداة التنفيذ الرباني ضمن حشد ضخم من أدوات التنفيذ في الكون، وحددت صيغة التنفيذ (ابلعي) الماءَ على وجه السرعة [54] ثم أنْ أُتبعَ نداءُ الأرض وأمرُها بما هو من شأنها ونداءُ السماء وأمرُها كذلك بما يخصُّها، ثم أنْ قيلَ : وغيضَ الماءُ. فجاء الفعل على صيغة " فُعِلَ " الدالَّة على أنه لم يَغِضْ إلاّ بأمرِ آمرٍ وقدرةِ قادر، ثم تأكيدُ ذلك وتقريره بقولهِ تعالى : (قُضِيَ الأمرُ). ثم ذكَر ما هو فائدةُ هذهِ الأمورِ وهو (استوتْ على الجوديَّ)، ثم إضمارُ السفينةِ قبلَ الذكرِ كما هو شَرْطُ الفخامةِ والدَّلالةِ على عِظَمِ الشأن[55]، ويتم التحول الكوني بصيغة الفعل(غِيْضَ) المبني للمجهول، وما بعده أبلغ في التعظيم والجبروت وأخصر، لأنّ مجيء أخباره على الفعل المبنى للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكون قاهر، وأنّ فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله، فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، ولا أن يقضى ذلك الأمر الهائل غيره، ولا أن تستوي السفينة على متن

([52])معترك الإقران في اعجاز القرآن : 1/318–319 , والنسق القرآني : 122–123

[53]) ينظر الكشّاف : 2/ 397, والبحر المحيط : 5/228 .

[54]) ينظر النسق القرآني : 123 .

[55]) ينظر دلائل الإعجاز : 53 .

الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره فاعل ذلك كلّه لا يخط الفكر والشعور هو الله الخالق الفاعل [56]، فبني الجميع للمفعول للعلم بالفاعل، ونلحظ التوازن ظاهرا أيضًا بين الجملتين المتواليتين (وغيض الماء، وقُضِيَ الأمر) يشير إلى أنّ التنفيذ تمّ موافقًا للأمر دون شططٍ، أو تقصيرٍ، وبنفس الوتيرة من الإيقاع تقريبًا [57] في السلسلة الكلامية الواحدة ؛ لأنّ تواجدَ هذه الصيغ (أشكال الأفعال) ليست مستقلة تركيبيًا بل توجد بالضرورة في السلسلة الكلامية نفسها وبصورة ثابتة تحقق التجانس الشكلي والجوهري بين عناصرها داخل النص القرآني الواحد.

ويمكن أن نمثل تتابع المجالات النحوية على أساس خطية البنى التركيبية للآية كالآتي :

- وقيل يا أرضُ، يا سماءُ اقلعي.

الفعل مبني للمجهول (وهو المسند، عنصر مركزي) + مجال (نائب فاعل، وهو المسند إليه، أداة التحصيل) = أداة نداء + منادى مبني على الضم في محل نصب .

- ابلعي ماءَك.

فعل (عنصر مركزي)+ مجال (الياء، أداة تحصيل) فاعل = مفعول به (أداة تحصيل ثانية) + مضاف إليه (الحاق بالتعليق).

- وغيضَ الماءُ، وقضي الأمرُ.

حرف عطف + فعل مبني للمجهول (عنصر مركزي)+ مجال (الماء نائب فاعل، أداة تحصيل).

- واستوت على الجودِ.

حرف عطف + فعل (عنصر مركزي)+ مجال (فاعل ضمير مستتر تقديره هي "السفينة"، أداة تحصيل) + جار وجرور (الحاق بالتعليق).

- وقيلَ بعدًا للقومِ الظالمينَ.

فعل (عنصر مركزي)+ مجال (نائب فاعل، أداة تحصيل) = مفعول مطلق لفعل محذوف (ابعدوا، أداة تحصيل ثانية) + جار وجرور + نعت مجرور بالياء (الحاق بالتعليق).

---

[56]) ينظر الكشّاف : 398/2 , والبحر المحيط : 228/5 .

[57]) ينظر النسق القرآني: 124 .

ومن ذلك نلحظ بأنّ بناء الأفعال داخل نسق الآية لم يكن خاضعًا للخطاطة التركيبية فقط بل اصبح خاضع لعملية الضم الخالص المبررة بالانتقاء، فضم الأفعال المبنية للمجهول لفاعل واحد وهو (الله) يقتضيه موضوع الآيات الدالة على ذلك.

وتنبغي الإشارة في هذا السياق إلى أنّ منهج التحليل إلى المكونات المباشرة قد بُنِيَ على أساس افتراض أنّ أيّ تركيب نحوي إنّما هو تركيب ليس بالبسيط ؛ لأنّه متكون من عنصر غير واحد، ومن هنا يجب أن يحلل كلّ تركيب نحوي إلى جزأين في كلّ مرحلة من مراحل التحليل ليصل التحليل إلى أصغر الوحدات اللغوية المتكونة في السلسة الكلامية والمتمثلة بالمورفيم، أو الفونيم [58]، فأمر المركب لا يقتصر في السلسة الكلامية على المركبات الصوتية غير الدالة (المقاطع) بل تتجمع هذه المقاطع وتتوالي لتنتظم على نحو معين مشكِّلة مركبًا لغويًا آخر هو (الكلمة)، يقول التهانوي (1158هـ):" فالمركّب على هذا هو الكلمة التي فيها حرفان أو أكثر، والتركيب عند النحاة مقابل الإفراد" [59].

وتأسيسًا على هذا الكلام فتجمع المقاطع يفضي إلى انتاج وحدات أو مركبات لغوية دالة هي الوحدات الإفرادية أو المفردات المعجمية، إذن فالكلمات هي أصغر المركبات اللغوية الدالة وأبسطها [60].

فالألفاظ في الآية السابقة لا يمكن أن تؤدي بأثرها الصوتي ودلالتها على المضمون وهي منفردة كما تؤديه، وهي مرتبطة بعلاقات التركيب الاسنادي عندما أخذت كلّ مفردة موقعها التي اقتضاها النظم خدمة للمعنى، ومساهمة الصوت والصورة في ايضاحه وتحديده، زيادة على تشكيل العامل النفسي والوجداني الذي يكمن في ثنايا هذا التركيب، فابتداء الجملة بفعل : قيل، ونداء الأرض نكرة بحرف النداء (يا)، ومجيء الفعلين ؛ (ابلعي، واقلعي)، ونسبة الماء إلى الأرض في (مائك)، ومجمل صيغ التركيب الأخرى اعطى الأثر الصوتي دلالته على المضمون وأدت العلاقات السياقية داخل الجمل في السلسلة الكلامية وظيفتها في بيان وتشكيل المعنى المنشود[61]، وهو ما نادى به علماء العربية عامة، والنحو بصفة خاصة.

ونخلص إلى مسألة مهمة في النظام النحوي مفادها أنّ تقسيم الكلم إلى عناصر أو مقطع، والتي تسمى بالأصوات الكلامية أمر في غاية الأهمية فهو يتلاءم وتحقيق أغراض الدراسة اللغوية، فالسلسة الكلامية، وكما صرح بها

---

[58]) ينظر الجملة العربية دراسة لغوية نحوية : 190, والتقابل اللغوي وأهميته في تعليم اللغة لغير متكلميها : 114-115 , والنحو الغائب : 123 .

[59]) كشاف اصطلاحات الفنون : 423/1 .

[60]) ينظر النحو الغائب : 121 .

[61]) ينظر النسق القرآني: 269 .

الدكتور رشيد العبيدي خاصة من خصائص اللغة العربية [62] التي تنبه إليها علماء النحو واللغة، وأكدوا بأنّه لا يمكن الاستغناء عنها في البحث التركيبي من جهة تحليل مكوناته.

أنواع التراكيب عند النحاة العرب :

وذكر النحاة أنواع المركبات من طريق بيانهم لأنواع الإسناد داخل الجمل التي تتضمنها السلاسل الكلامية، وأشار التهانوي إلى ذلك قائلًا :"اعلم أنّ النحاة قالوا إن كان بين جزئي المركّب وهما اللفظان إسناد سمّي مركّبا إسناديا وجملة، فإن كان ما بينهما إسنادا أصليًا مقصودًا لذاته سمّي كلاما، فالجملة أعمّ من الكلام، وإن لم يكن بينهما إسناد فإمّا أن تكون بينهما نسبة تقييدية بأن يكون أحد الجزأين قيدا للآخر يسمّى مركبا تقييدًا، فإن كان أحدهما مضافا والآخر مضافا إليه سمّي مركبا إضافيا، وإن كان أحدهما موصوفا، والآخر صفة سمّي مركبا توصيفيًا، وأمّا المصادر والصفات مع فاعلها فإنّها في حكم المركّبات التقييدية لكون إسنادها أيضا غير تام"[63].

ومن المحدثين من يقدم تصورا جديدا للمركباتمعتمدًا في ذلك على الواقع اللغوي الذي تمليه عناصر المركبات، ومُمَيِّز بينها بنوع الكلمة التي يبدأ بها التركيب ؛ لذلك ظهرت المركبات عند محمد إبراهيم عبادة ثمانية على النحو الآتي [64]:

1. المركب الفعلي، وهو الهيئة التركيبية المعروفة بالجمل الفعلية المبدوءة بفعل تام.
2. المركب الاسمي، وهو الهيئة التركيبة المبدوءة في الأصل باسم ليس مشتقًّا عامل عمل فعله أو مضاف، وليس مصدرًا عامل عمل فعله أو مضاف.
3. المركب الوصفي، المبدوء بمشتق محض، اسم فاعل أو اسم مفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل.
4. مركب الخالفة، وهو الاسم المبدوء باسم فعل.
5. المركب المصدري، ما كان مكونًا من مصدرٍ ومعموله.
6. المركب الموصولي، يبدأ بالموصول الاسمي، أو الموصول الحرفي.
7. المركب الظرفي، المبدوء بما يدل على انجاز الحدث أو مكانه، ويكون في معنى (في).

---

[62]) ينظر العربية والبحث اللغوي المعاصر : 58 .

([63])ينظر كشاف اصطلاحات الفنون : 424/1 .

[64]) الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها : 51 – 132 , إذ يتناول الباحث هذه الأنواع بالتفصيل الوافي ما أغنانا من إعادتها هنا , واكتفينا بمجرد الإشارة إليها .

8. مركب الجار والمجرور، هو المصَدّر بحرف جر.

وكلّ جملة من جمل الكلام لا تنتظم في السلسلة الكلامية إلّا من طريق ترتيب ألفاظها بحسب ما يقتضيه علم النحو، وبما تسمح فيه مبادئ علم الصرف، ويتضح أنّ ضغط الرصيد المعجمي على المتكلم يتناسب عكسًا مع تقدمه في سلسلة الكلام، ومعناه أنّ هذا الرصيد يتزاحم بأفعاله واسمائه وحروفه على لسان المتكلم عندما يهمُّ بالكلام، فإذا انطلقت الجملة على لسانه وبدأها بفعل مثلًا انسحبت كلّ الأفعال من الضغط وبقيت الأسماء والحروف وهكذا كلمّا تقدمت سلسلة الكلام خفَّ الضغط [65].

السلسلة الكلامية والأسلوبية :

ولا تفوتنا الإشارة إلى أهمية انتظام السلاسل الكلامية في الوصف الأسلوبي، فبما أنّ علم الأسلوب فرع من علم اللغة يختص بتناول المتغيرات في النصوص بأكملها، وعلى هذا يُنْظَر إلى النص على أنّه الوحدة الأولية للوصف الأسلوبي، فَيُدرَس على أنّه وحدة متكاملة، لا على أنّه سلسلة من الجمل المتوالية، لكن لا مفرّ الآن من الاهتمام بالجملة على أنّها وحدة الوصف اللغوي في المستوى النحوي، إذا نجد التركيز منصب على الوحدات الصغرى في النص (الأصوات، والكلمات، والتراكيب)، وعلى هذا فتحليل الوحدات التي هي أصغر من الجملة يعدّ أساس ضروري لعلم الأسلوب، ونقطة التقاء بينه وبين علم النحو ؛ لأنّه ينبغي النظر إلى التراكيب والأنماط النحوية من جهة صلتها بالنص بأكمله، وبالعناصر الأخرى في النصّ [66].

وممّا لا شل فيه أنّ النحو (النظم)، تترابط بمقتضاه الألفاظ معًا لتكوين وحدة كاملة، إذ له الاسهام الأكبر في الدرس الأسلوبي بصورة أساس ؛ فالنحو هو الذي ينقل المعاني، فهو ليس شيئًا تكميليًا، بل هو الوسيلة لنقل الأفكار، ومن أمثلة المتغيرات النحوية التي يهتم بها ويرصدها علم الأسلوب ويتناولها بالتحليل والدرس[67]:

1. قد تكون الجملة اسمية وقد تكون فعلية، ولكلّ واحدة خصائص مميزة في الاستعمال.
2. قد يكون الخبر في الجملة الاسمية مفردًا، وقد يكون جملة اسمية أو فعلية، وقد يتقدم الخبر لغير ضرورة نحوية.
3. قد يضاف اسم الفاعل إلى مفعوله ويعمل فيه النصب، ولكلّ حالة توجيه في المعنى.
4. في الاستفهام قد يحتاج الأمر الى تركيب خاص للكلمات.

---

[65]) ينظر الأسلوب والأسلوبية : 138 – 139 , والبلاغة والأسلوبية : 187 .

[66]) ينظر الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية : 18 .

[67]) ينظر نفسه : 18 – 19 .

5. قد يذكر الضمير العائد في جملة الصلة وقد يحذف.

6. قد يتقدم المفعول به على الفاعل لمقتضيات صرفية، وقد يتقدم من دونها، وعندئذٍ يكون للتركيب معنى زائد.

ويميّز الأسلوبيون بين نوعين من الجمل من جهة طولها أو قصرها، فمنهم من يميل إلى النوع الثاني، ومنهم من يميل إلى النوع الأول، والجمل الطويلة أنماط عدة منها نمطان رئيسيان هما:

- النمط المتسلسل: الذي يقدم فيه المسند إليه، ويأتي بعد ذلك الإخبار عنه في سلسلة من الجمل المتصلة بعضها ببعض كقولنا: " ليس الاعتداد بالذات من قبيل الغرور المحض ؛ بل هو في حقيقة الأمر ضروب وألوان ؛ فالثقة بالنفس نوع من الاعتداد بالذات، ولكنّها صفة محمودة تجعل الإنسان قادرًا على مواجهة الأحداث بقوة، لا يتزعزع ولا يهتز" [68]، فالاعتداد بالنفس في هذه الجملة هو الركن الأساس "المسند إليه" جاء الإخبار عنه في هذه السلسلة المتصلة من الجمل التي تنبع من بعضها البعض في سياق ممتد متصل.
- النمط المتصاعد: هو الذي يقدم فيه جزء من أجزاء الجملة، لاسيما متمماتها كالظرف والجار والمجرور، ويستبقي أساسها إلى النهاية كقولنا : "في الوقت الذي نجهد فيه أنفسنا في البحث عن السعادة : أين مكمنها؟ ومتى نجدها ؟ وما سرّها؟ لا نلبث أن ندرك إدراكًا جازمًا أنَّها في طَمْأَنِينَةِ النفس وسكونها التي لا تتأتى إلا بالتقوى والخضوع لله"، فالتصاعد هنا يأتي من تعليق الإخبار، واستبطائه حتى النهاية، فنحن لم نجب عن ماهية السعادة إلا في آخر الجملة [69]، وهذا يؤيد ما ذهب إليه حازم القرطاجني [70] بقوله أنّ :" الأسلوب هيأة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظية"، وفي هذا الموضع نجد أنّ هيئة الأسلوب وهيئة النظم مجتمعتان، ما أدى إلى انتظام التأليف المعنوي مع التأليف النظمي في هندسة بنية الجملة في السلسلة الكلامية، مع تأدية الغرض المنشود منها.

وتتسلل هذه الوحدات في اللغة العربية على المحور التركيبي لعناصر الجملة الذى تخلقه الوحدات الحركية للغات الإنسانية الطبيعية جمعاء، وتجاور هذه الوحدات في هذه السلسلة الكلامية بين بعضها البعض ؛ نتيجة للصلات القوية التي تجمعها في التركيب الواحد ما يضفي على النص كلّ عناصر السبك البنيوي والمقامي.

---

[68]) فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه : 66 .

[69]) ينظر مدخل إلى علم الأسلوب : 61 , وفن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه : 66- 67 .

[70]) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : 327 .

السلسلة الكلامية والتنغيم :

ولا يفوتنا أن نذكر بعض الأمور التي لها أثر مهم في تسلسل الجمل داخل السلسلة الكلامية ألا وهو النغم الذي يعدّ أحد عناصر الوحدات فوق المقطعية إذ يسهم بتحديد الوظيفة المعنوية للخطاب ؛ وذلك بربط المقاطع التركيبية للجملة، أو الجمل المتتالية، فمن طريقه يتمّ التمييز بين الجمل فيما إذا كانت خبرية أو استفهاميّة، أو تعجبيّة أو أمريّة، أو انفعاليّة....إلخ من أنواع الجمل [71]، ففي جملة (ما أجمل القمر) يكون النغم هو الذي يحدد معناها فيما إذا كانت خبريّة، أو استفهاميّة، أو تعجبيّة زيادة على العلامات الإعرابية التي تسهم في ذلك، فوظيفة التنغيم هي الترقيم في الكتابة إلّا أنّه أوضح من الترقيم في الدلالة على معنى الجملة[72].

وكذلك يعدّ النبر من الوحدات الفوق مقطعية التي لها أثر داخل السلسلة الكلامية، فالنبر الثابت يعدّ وحدة فاصلة تميّز بين الوحدات النبرية (الكلمات) في الكلام، لذا فهو يحمل وظيفة نحوية [73] وهو ما يعرف بـ (نبر الجمل) إذ يعمد المتكلم إلى جملته فيزيد النبر على إحدى كلماتها ويميّزها من غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في التأكيد عليها أو لغرض خاص [74] .

ومن الوحدات فوق المقطعية التي لها أثر في الجمل الوقف، إذ يرى اللغويون العرب أنّ الوقف ليس لمجرد راحة المتكلم فقط، إنّما يعتقدون أنّه عملية يستعملها المتكلم بغية إفهام السامع المضمون الدلالي للمرسلة، فالوقف قطع القراءة أمّا في نهاية كلمة أو عبارة أو جملة [75]، ونخلص من ذلك بأنّ اللغة الإنسانية تستغل الأصوات التي لا معنى لها (على المستوى الصوتي) في تركيبات متنوعة لها معنى على (المستوى النحوي) [76]، وتدخل في جمل لتكوّن السلسلة الكلامية.

خاتمة:

1. اقتصرنا في دراستنا للسلسة الكلامية على المستوى التركيبي فقط، وتجاوزنا المستوى الصوتي كونه يهتم بوصف الطرائق التي يحدث فيها الكلام نتيجة عمليات معينة يقوم بها الجهاز النطقي الذي تتخذ أعضاؤه حركات

---

71) ينظر علم الأصوات العام : 100 .
72) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : 226 .
73) ينظر علم الأصوات العام : 102 .
74) ينظر الأصوات اللغوية : 102 .
75) ينظر علم الأصوات العام : 103 .
76) ينظر انفتاح النسق اللساني : 19 .

مختلفة متتابعة عند الانتقال من صوت كلامي إلى آخر ضمن السلسة الكلامية، وهذه العمليات لا تأخذ صداها في المستوى التركيبي بقدر ما هي عليه في دراسة المستوى الصوتي.

2. تتألف اللغة العربية من منظومة خاصة تنطوي تحتها كلّ مفرداتها، ويمكن أن نسميه (نظام الأنظمة) ؛ كون المفردات منظمة فيه تنظيمًا صوتيًا بالتحام وانسجام أصواتها مع بعضها البعض، والتي تنظم بدورها في الجمل داخل السلسلة الكلامية الواحدة.
3. ترتبط الكلمات معًا في السلاسل الكلامية ترابطًا قائم في أصله على العمل، فكلّ لفظ من هذه الألفاظ يسلك في الجملة موقعه في البنية التي تنسجم مع الخصائص الداخلية لعناصر الجملة داخل السلسلة الواحدة.
4. لكلّ جملة بنية تجريدية خاصة تشترك بها مع طائفة من الجمل التي يجمعا النسق نفسه.
5. تتظافر كلّ من السمات النحوية، والسمات الدلالية والتركيبية للفعل بغية احداث الموائمة المنتجة في مستوى بناء الجملة، التي تظهر عندما يحسن السكوت عليها لتمام تحقيق الفائدة.
6. السلاسل الكلامية لا يمكن الاستغناء عنها في البحوث اللغوية ؛ لأنّ الجملة هي أقصى حدود التحليل التي تقع ضمن دائرة علم اللغة ولذلك تعدّ الحجر الأساس لدراسة اللغة ولا سيما النحو، لأنّ بناء هذه العناصر داخل السلسلة الكلامية هو الهيئة الحاصلة من عمل العناصر وارتباطها مع بعضها، وهذه البنية التي تضم وظائف هذه العناصر تسمى الجملة.
7. للوحدات فوق المقطعية أثر في الكلمات والجمل المنظمة في السلسلة الكلامية، فللنغم والنبر أثرهما البارز في الكلمة والجملة على حدٍّ سواء، لا سيما النبر الثابت (نبر الجمل)، وكذا الوقف.
8. ولا يفوتنا الإشارة إلى أهمية الأسلوب في الدراسات النحوية كون تحليل الوحدات التي هي أصغر من الجملة يعدّ أساس ضروري لعلم الأسلوب، ونقطة التقاء بينه وبين علم النحو ؛ لأنّه ينبغي النظر إلى التراكيب والأنماط النحوية من جهة صلتها بالنص بأكمله، وبالعناصر الأخرى في النصّ، فللنحو الاسهام الأكبر في الدرس الأسلوبي بصورة أساس.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

- الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، د. فؤاد بو علي، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، 2011م.
- الأسلوب والأسلوبية : د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثالثة.
- الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية : د. محمد عبد الله جبر، دار الدعوة، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 1409هـ - 1988م.
- الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثالثة، 2007م
- انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي : د. محيي الدين محسّب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، 2008م.
- البحر المحيط : محمد بين يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي (745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وشارك في تحقيقه د. عبد المجيد النوتي، د. أحمد النجولي، وقرطه د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م.
- بحوث السنية عربية : ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1412هـ - 1992م.
- البلاغة والأسلوبية : د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان وناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1994م.
- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض (1205هـ)، بتحقيق مجموعة من المحققين، دار الهدى.
- التقابل اللغوي وأهميته في تعليم اللغة لغير المتكلمين بها : صلاح الدين حسين، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أمّ القرى، العدد الثاني، 1404هـ - 1984م.
- الجملة العربية دراسة نحوية دلالية : محمد إبراهيم عبادة، مطبعة كلية الآداب، 1998م.
- الجملة العربية مكوناتها أنواعها وتحليلها : د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الرابعة، 2007م.

- الجملة في الدراسات اللغوية : د. نعيمة سعدية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2011م.
- دلائل الإعجاز. أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق د. محمد التنجي ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى،1995 م.
- السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تطوير شامل : عبد الواحد المرابط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 1431هـ - 2010م.
- شرح الرضي على الكافية : رضي الدين الاستراباذي (686هـ)، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1398هـ - 1978م.
- شرح المفصل : موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (643هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م.
- العربية والبحث اللغوي المعاصر :د. عبد الرحمن العبيدي، المجمع العلمي العراقي، 1425هـ - 2004م.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.
- علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية) : د. بسّام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : الدكتور محمود السعران، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثانية، 1997م.
- فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (محمد بن أبَّ القلاوي الشنقيطي) : الشارح أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة،الطبعة الأولى، 1431 هـ - 2010م.
- فقه اللغة : د. حاتم الضامن، دار الآفاق العربية، القاهرة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ - 2007م.
- في اللسانيات ونحو النص : د. إبراهيم خليل، دار الميسرة، الأردن، الطبعة الثانية، 2007م.
- فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه : د. محمد صالح الشنطي، السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، 1422هـ.

- الكتاب : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب بسيبويه (180هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م.
- كتاب الأفعال : أبو القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطّاع (515هـ)، الطبعة الأولى، دار المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية، 1364هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون : محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة الدكتور رفيق العجم، تحقيق الدكتور علي دحروج، نقل النص من الفارسية إلي العربية الدكتور عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية الدكتور جورج زيناني، مكتبة لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.
- الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري جار الله (538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ، والكتاب مذيل بحاشية الانتصاف بما تضمنه الكشّاف لابن المنير الإسكندري (683هـ)، وتخريج أحاديثه للإمام الزليعي.
- لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (711هـ)، تحقيق أحمد فارس، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، 1214هـ -1994م.
- اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج : اللسانيات(المجال، والوظيفة، والمنهج): الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية، أربد – الأردن، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1429هـ - 2008م.
- اللغة : جوزيف فندريس (1380هـ)، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950 م.
- اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمّام حسّان، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، 1425هـ - 2004م.
- اللغة وعلم اللغة : جون ليونز، ترجمة مصطفى زكي حسن التوني، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 1987م .
- مبادئ اللسانيات العامة : أندريه مارتنيه، ترجمة أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، دمشق، 1985م.
- مدخل إلى علم الأسلوب : محمد شكري عياد، مكتبة الجيزة العامة، الطبعة الثانية 1413هـ - 1992م.

- معترك الإقران في إعجاز القرآن، ويسمى إعجاز القرآن ومعترك الإقران: جلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.
- معجم اللسانيات الحديثة : سامي عياد حنا، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1997م.
- مفهوم الجملة عند سيبويه: د. حسن عبد الغني جواد الأسدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م.
- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسن (395هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- المقتضب : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي أبو العبّاس المبرِّد (285هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت.
- مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، نسيمة نابي، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، الجزائر، 2011م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني(632هـ)، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الحوجة، الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب – تونس، 2008م.
- النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) : عبده الراجحي،دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
- النحو الغائب دعوة إلى توصيف جديد لنحو اللغة في مقتضى تعليمها لغير الناطقين بها: عمر يوسف عكاشة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -، بيروت، ودار فارس – الأردن، الطبعة الأولى 2003م.
- النسق القرآني دراسة أسلوبية : د. محمد ديب الباجي، شركة دار القلم، ومؤسسة علوم القرآن،جدة – السعودية،الطبعة الأولى،1431هـ - 2010م.